فلو قلت هذا جحر ضب كبير لم يخفض على الجوار لان كبيرا يصلح صفة
لضب كما يصلح صفة لجحر فلا يتعين قال كبير اناس في بجاد مزمل
هو عجز بيت من ثاني الطويل صدره كان ابانا في عرانين وبله وقد سبق الكلام
عليه في الباب الرابع في تاسع الامور التي تكتسبها الكلمة بالاضافة فان
قيل ما عامل هذه الحركة التي في مزمل ان قلتم العامل فيها مجاورة
لم يصح لان هذا العامل لم يقتض هذا المعمول ليظهر اثره فيه لانه
ليس له في المعنى وانما هو لغيره وان قلتم عامل غيره فليس ثم ما
يقتضي خفضه فالجواب ان هذه الحركة ليست اعرابية حتى تستدعي
عاملا وانما هي حركة اجتلبت للمناسبة بين اللفظين المتجاورين
وليست اعرابية بل ولا بنائية فلا تحتاج الى عامل لان الاثبات بها انما
هو لمجرد استحسان لفظي لا تعلق له بالمعنى فمزمل في البيت
وان كان مخفوضا لفظا فهو مرفوع تقديرا وللعامل ان يتسلط
على الحركة المقدرة لانه يقتضيها من حيث المعنى واما الحركة اللفظية
فانما اقتضاها طلب المشاكلة اللفظية وذلك كما في قولك الحمد لله بكسر
الدال اتباعا لكسرة اللام فانه مرفوع تقديرا مخفوض لفظا واثر
العامل هو الحركة المقدرة لا الملفوظة وبالجملة فالحمل على الجوار
من جملة صور الاتباع وقد قولهم على الجوار بما يشير اليه وقيل يدخل
حور عين فيمن جرهما اي في قراءة حمزة والكسائي فان العطف على
ولدان مخلدون اي ويطوف عليهم حور عين فيهما برفعهما كما
في القراءة الاخرى لا على اكواب واباريق ليكونا مجرورين بالمجاورة
اذ ليس المعنى ان الولدان يطوفون عليهم بالحور وقيل العطف
على جنات فكانه قيل المقربون في جنات وفاكهة ولحم
طير وحور وقيل عطف عليها بتقدير مضاف اي هم في جنات ومصاحبة
حور وهو احسن من جهة المعنى وقيل العطف على اكواب ولكن باعتبار المعنى
اذ معنى يطوف عليهم ولدان مخلدون باكواب ينعمون
باكواب والتقدير ينعمون بها وبحور عين وقيل في وارجلكم بالخفض
وهي قراءة ابن كثير وابي عمرو وابن عياش عن عاصم وحمزة وابي
جعفر وخلف انه عطف على برءوسكم بل هو وحده لا على
الوجه اذ الارجل مغسولة لا ممسوحة تشهد بذلك السنة
الشايعة وعمل الصحابة وقول الامة والتحديد الى الكعبين لم يجئ
ولكنه خفض لمجاورة رؤسكم فهو منصوب تقديرا مخفوض لفظا
ولا عبرة بما ذهبت اليه الشيعة ... الشنيعة

من

من كون الارجل ممسوحة تمسكا بظاهر هذه القراءة لما انه ظاهر غير مراد فانهم
والذي عليه المحققون ان خفض الجوار يكون في النعت قليلا كما مثلنا
وفي هذا جحر ضب خرب وفي التوكيد نادرا كقوله يا صاح بلغ ذوي الزوجات
كلهم ان ليس وصل اذا انحلت عرى الذنب البيت من البسيط وسيسمي المصنف قايله وصاح
منادى شذ ترخيمه لانه نكرة مقصودة ده عاريه من هاء التانيث واصله يا صاحب
وزعم ابو عمرو وفاء ان اصله يا صاحبي بالاضافة وانه اجري مجرى المركب المزجي
فرخم بحذف هذه الكلمة الثانية منه وادرك الاولى ترخيم اخر اسمين حذف الباء وهذا
تعسف عنه سند وجه بما قلنا وفي قوله عرى الذنب استعارة مكنية وقرينتها
التخييلية وذلك انه شبه ذلك الشيء المعبر عنه بالذنب في الشدة والتمسك بعد ان
متشدد منها تمسك بعرى المستمسك في الشيء اخر ثم اثبت له ما هو من لوازم المشبه
به وهو العرى وانحلت ترشيح وذلك كناية عن الضعف وعدم القدرة على الوطي والمعنى
ان الرجل اذا فتر عن الجماع ولم يستطعه هجره النسا وتركت مواصلته لانقطاع
الرغبة فيه قال الفرا انشدنا ابو الجراح بخفض كلهم فقلت هلا قلت
كلهم يعني بالنصب لانه تاكيد المضاف المنصوب على المفعولية فقال هو خير من
الذي قلته انا ثم استنشدته اياه فانشدنيه ثانيا بالخفض ايضا وفيه
دليل على ان العرب لا تستطيع العدول عما في سليقتها ولا تنطق بما نطقت به اولا ولا
يكون اي خفض الجوار في النسق اي العطف بالحرف لان العاطف يمنع من التجاور
وفي شرح ابن مالك للعمدة تنفرد الواو بجواز العطف على الجوار في الجر خاصة
كقوله تعالى وامسحوا برءوسكم وارجلكم في قراءة ابن كثير وابي عمرو وحمزة وابي بكر
وقوله تعالى يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس في قراءة ابي عمرو وابن كثير
وحكى الشارح عن صاحب له من العدول الثقات يدعى بابن السارق انه كان
بيده كراسة من بعض التفاسير فيها ان ارجلكم في اية الوضوء مخفوض على
الجوار قال فجيت الى الشيخ جمال الدين بن هشام يعني المصنف وهو
جالس بجامع عمرو بن العاص بمصر فاريته الكلام المذكور في الاية فنظر
في الكراسة ثم القاها الي وقال لي بجدة حذفا سا واكشط به هذا الكلام
وارم به وجه صاحبه وقال الزمخشري لما كانت الارجل من الاعضا
الثلثة المغسولة تغسل بصب الماء عليها كانت مظنة للاسراف المذموم شرعا
فعطفت على الممسوح لا لتمسح لان واجبها الغسل ولكن لينبه على وجوب
الاقتصاد في صب الماء عليها وقيل الى الكعبين فجي بالغاية اماطة
لظن من يظن انها ممسوحة لان المسح لم يضرب له غاية في
الشريعة انتهى الظاهر ان المصنف لم يورد كلام الزمخشري
على ان فيه دلالة على ان الخفض في الاية بالجوار اذ لو كان عرضه ذلك لاورده
قبل ذكر ما عليه المحققون وفي حواشي التفتازاني فان قيل العطف

Copyright © King Saud University